نريد من وراء هذا التوضيح، تبيان كون التغيرات التي لحقت الشكل النموذجي في إيقاعيته وفضائيته، ولم ترد بتردد كبير في أشعار الأقدمين حتى تصير خاصية مميزة أو نموذجاً سائداً. فهذه التغيرات لحقت الشكل في فترات متأخرة، ولم تفعل بشكل يؤثر في نموذجية الشكل الأول. ولا أدل على ذلك من كوننا اليوم نرصد إلى جانب آخر ما استجد من اشتغالات فضائية للنص الشعري، حضور الشكل البصري العتيق ذاك، بتوازياته وتقابلاته وفراغاته البيضاء.

فرغم التنويعات المختلفة، يبقى تاريخ الشكل، حلقات متصلة من يومنا إلى الأزمنة الأولى التي عرف فيها النص الشعري العربي أول اشتغال فضائي له. بصورة لا يمكن معها بأي حال من الأحوال، أن نتحدث عن قطائع حاسمة تتأسس معها تصورات مغايرة تماماً لما ألفته الأذن العربية، وما استأنست به العين.

وسنحاول في هذا الباب، أن نعرض لبعض النماذج التي تؤشر على تغير في الشكل. وهي كلها نماذج استتبعتها متغيرات على مستوى البنية الإيقاعية، والصوتية في جانبها التقفوي.

في البداية، نعرض باختصار لنموذج لم يؤثر في شيء على صيغة العرض البصري، بل حمل معه فقط متغيراً على مستوى الحركات، لذلك لن نقف عنده كثيراً، وهو لا يهمنا هنا إلا باعتبار أهمية البعد الأيقوني للحركة فيه:

1.2.1.3 ـ القواديسي (أيقونية الحركة):

يقول ابن رشيق: ومن الشعر نوع غريب يسمونه القواديسي، تشبيهاً بقواديس الساقية لارتفاع بعض قوافيه في جهة وانخفاضها في الجهة الأخرى. . .[39]، ويثبت ابن رشيق مثالاً لهذا النموذج من مربوع الرجز لطلحة بن عبيد الله العوني:

كم للدمى الأبكار بالخبيثين من منازلِ
بمهجتي للوجد من تذكارها منازلُ
معاهد رعيلها مثعنجر الهواطلِ
لما نأى ساكنها فأدمعي هواطلُ[40]

المثال: استنساخ للشكل البصري النموذجي، وجديده يكمن في الجانب الصوتي حيث تتناوب حركات الروي بين الضمة والكسرة، وهما الحركتان اللتان استعيرت لهما صفة الارتفاع والانخفاض في قواديس الساقية.

---

(39) ابن رشيق، م م، ص: 178.

(40) ابن رشيق، م م، ص ص: 178 - 179.